- موراي، دوغلاس. (2022). جنون الحشـود، الجندر والعرق والهوية، ترجمة، جلال بدلـة، (الطبعـة الأولى). المملكـة العربية السـعودية: مطبوعات صفحة سـبعة للنشر والتوزيع.
- هابرماس، يورغين. (2006). مسـتقبل الطبيعة الإنسـانية، نحو نسالة ليبرالية، ترجمة، جورج كتورة، مراجعة، أنطوان الهاشم. (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: المكتبة الشرقية.

باللغة الأجنبية

- Berger, Anne Emmanuella. (2013). Le grand théâtre du genre, Identités, Sexualités et Féminisme en "Amérique", France : Éditions Belin
- Habermas, Jurgen. (1996). La paix perpétuelle, le bicentenaire d'une idée kantienne, traduction de l'allemand par Rainer Rochlitz. Paris : Les éditions du cerf.
- Laufer, Laurie et Rochefort, Florence. (2014). Qu'est-ce que le genre ? Paris : Petite Bibliothèque Payot.
- Mitchell, Juliet. (2017). Débattre de la différence des sexes, de la politique et de l'inconscient, L'homme et la société, revue internationale de recherches et de synthèses en sciences sociales, corps sexué, corps genré : une géopolitique, cordonné par Pierre Bras, Paris : Editions de l'Harmattan.
- Rennes, Juliette. (2016). Encyclopédie critique du genre, corps, sexualité, rapports sociaux. Paris : Edition La Découverte.
- Riot-Sarcey, Michèle. (2016). Le genre en questions, France : Creaphis éditions.

الشذوذ الجنسي في المجتمعات الغربية القديمة

عبد اللّه السليمان

مدرس التاريخ القديم بجامعة دمشق

ملخّص

يشرحُ هذا البحث العلاقات الجنسيَّة الشاذة في المجتمعات الغربية القديمة (الإغريقي، المقدوني، والروماني)، ويُسلِّطُ الضوءَ على نظرة المجتمع لها، وكيف استطاع مفكرو الغرب من خلال الشخصيات العامة الفاعلة في المجتمع الترويج له، لاسيما أنَّ أغلبهم كان متورطاً في مثل هذه العلاقات الشاذة، وقد لعبت الخلفيةُ الأسطوريةُ، والمفاهيم الخاطئة، والممارسة الفعلية لهذه الآفة الاجتماعية على فئة قاصرة في المجتمع، دوراً في تفشِّي شيوعها، وتغلغلت في بنيته حتَّى صارت تُعدُّ أساساً في العملية التربوية المدرسية، والتربية الوطنية، والتربية العسكرية، والتربية الرياضية، والصحة النفسية، ويرُكِّز هذا البحث على علاقات الشذوذ في حياة النخب؛ كالفلاسفة والقادة والأباطرة، كون هؤلاء كانوا قدوة في مجتمعاتهم. كما يُعالج الأسبابَ والعواملَ التي دفعت بالشذوذ الجنسي إلى التفشِّي في المجتمعات الغربية القديمة.

الكلمات المفتاحية:

الشذوذ- الإغريق-الرومان-لواط-سحاق- العلاقات الجنسية

المقدمة:

إنَّ العلاقـةَ الجنسـيَّةَ هي علاقة سـليمة ما دامت انعكاسـاً للرغبة التـي أودعها الله فينا، إذ خلقنا من ذكر وأنثى، والحكمة منها هو اسـتمرار النسـل البشري، وقد أوجد الله الـزواج طريقة مُثـلى وإطار عظيم للعلاقة الجنسـية بين أفراد البـشر. وبالتالي فهذه هي القاعـدة والأصـل، وأي مخالفة لها هي مخالفة للفطرة السـليمة، التـي فطرنا عليها الله ، ومخالفتهـا تُعدُّ شـذوذاً مرفوضاً وغير مقبول. لكن الباحثَ في التاريخ القديم سـيجد أنَّ الشـذوذَ الجنسـيَّ كان ظاهرةً قديمةً ومُتأصلةً في المجتمعـات الغربية، ورغم أنه كان مخالفًا للطبيعة البشرية إلاَّ أنَّ مفكري الغرب روَّجوا له بما فيه الكفاية، وقالوا بأهميته على الصعد التربوية والعسكرية والوطنية كافة، فعلى الصعيد التربوي -حسب زعمهم- «يمُهِّد لفتى فاعل في المجتمع»، وعلى الصعيد العسكري يعطي «جيشاً متلاحماً بروابط صداقة حميميـة تتوج بممارسـة اللواط». ورأى الغـرب أنَّ الشرقَ محرومٌ من هـذه «الفضيلة»؛ وبالتـالي هو محرومٌ من الصداقات الصادقة، تماماً كما هـو محرومٌ من الأفكار الخلاَّقة نتيجـة رفضه للفلسـفة. وبغض النظر عن التبريـرات التي يُقدِّمهـا الإغريق عن موضوع الشـذوذ الجنسي؛ فإنَّ هذه الآفة «المثلية الجنسـية» انتقلت منهم إلى المقدونيين؛ فكان الإسـكندر المقدوني –مثلاً- متورطاً بمثل هذه العلاقات الشاذة. وكذلك انتقلت المثلية الجنسـية منهـم إلى الرومان. وإنَّ الباحـثَ في الخلفيات الحقيقية لهذه الظاهرة سـيجد دوافعها العميقة مختلفةً، وأسـبابها متنوعةً؛ ما بين أسباب بيولوجية، واجتماعية، ونفسية، وإذا كان الطبيبُ الإغريقي سـوارنوس أوَّلَ من تصدَّى لمعالجة ظاهرة الشـذوذ الجنسي بتفسـيرات بيولوجية منطقيـة، فإنَّ هناك عُقدًا نفسـيَّةً تراكمت في بنيـة المجتمع اليونان أفضت إلى مثل هذا الشذوذ الجنسي.

■ أولًا: الشذوذ الجنسي عند اليونان:

يُجمعُ كثيرٌ من الباحثين أنَّ كُلَّ مجتمع غربي وُجدَ فيه شواذ؛ من اليونان القديمة، إلى روما، إلى إنكلترا الفكتورية، حتى الوقت الحاضر. وإنَّ أقدمَ الشواهد التي وصلتنا عن الشذوذ الجنسي في المجتمعات الغربية القديمة هي مجموعة الآنية الفخارية، حيث عثر علماء الآثار على كميات كبيرة من الفخاريات التي تُصور مشاهد الشذوذ الجنسي في مختلف أنحاء بلاد اليونان، مُنذ فترة مبكرة من تاريخ الإغريق، ورغم أنَّ الآنية الفخارية السوداء تُصور مشاهد المثلية بدرجة أعلى من الآنية الفخارية الحمراء التي شاع استخدامها منذ نهاية القرن السادس فصاعدًا، إلَّا أنَّهُ يمكننا القول: إنَّ الشذوذَ الجنسي كان آفةً حقيقيةً في المجتمع اليوناني، هذا رغم أنَّ تصويرَ أفعال الشذوذ الجنسي على الآنية الفخارية كان مُقيدًا بصورة مُلفتة، فالجماع الشرجي أو الفموي لم يظهر قط، مع أنهما كانا يتكرران عندما يكون المشهد يُصوِّر جماعَ رجل وامرأة (غارلاند، 2023م، ص257).

لقد وجدَ كثيرٌ من شبان المجتمع الإغريقي طمأنينة دينية على الصعيد الميثولوجي، فيما كانوا يقومون به من فعل جنسي شاذ، ما دام الإله زيوس Zeus قد قام بهذا الفعل مع غانيميد Ganymede بعد أن اختطفه من إقليم فرجيا، وكان غانيميد فتىً مراهقًا مشهورًا بين البشر لشدة جماله (Barnes, 2014, p.2.). وكان أفلاطون يُردد قصة أسطورية في حلقاته المدرسية، أخبره بها أرسطوفانس Aristophanes (456 - 386 ق.م) عن الأصول الإنسانية -والتي كان يعتقد بها اليونان- وهي أنَّ كُلَّ إنسان كان عنده النوعان من الأعضاء التناسلية؛ المُذكرة والمؤنثة، فما كان من الإله زيوس وبقية الآلهة إلَّا أن نمت الغيرية عند البشر؛ بعد أن قسمتهم إلى جنسين: مُذكر ومؤنث، وهذا ما يفسر -وفق معتقد اليونان- لماذا يتطلع أفراد كل جنس نحو الجنس الآخر؛ فكل فرد يصبو نحو نصفه الآخر منه (Younes, 2017, p.21.).

وقد لعبت الملاحم والأساطير اليونانية دورًا كبيرًا في تكريس هذا النمط من العلاقات الجنسية الشاذة، في تمجيد الشواذ جنسيا بأسلوب خفي، وما يؤكد ذلك هو أن الإلياذة تنسج بالتوازي ما بين علاقة أخيل Achilles وفطرقل Patroclus من جهة، وعلاقة أخيل والحسناء بريسيس Briseis من جهة ثانية، حيث كان أخيل يعشقها، وكان ذلك معروفًا للجميع، والذي عقد الموقف ودفع بالقصة إلى واجهة الأحداث هو انتزاع الملك أغامينون Agamemnon

لهذه الفتاة الحسناء من هذا المحارب الشاب، بعد أن كان قد حصل عليها كجائزة له لقاء بلاءه الحسن في القتال. فغضب أخيل بشدة ورفض أن يستمرَ في القتال واعتزل المعركة من أجلها، لقد كان أخيل مدفوعاً بمشاعر الامتعاض من أغامينون بالقدر نفسه الذي كان فيه مدفوعاً بمشاعر الحبِّ اتجاه بريسيس، وحجم ذلك الحب هو الذي دفعه إلى أن يقصي نفسه عن أرض المعركة. واستمر الأمر إلى أن وصله خبر مقتل فطرقل، فدفعه حبه الشديد له، ورغبته بالانتقام للنزول إلى أرض المعركة، ورغم أنه قتل هيكتور Hector ومثّل بجثته إلاَّ أنَّ ذلك لم يشف غليله، وهكذا يجد المؤرخون أنَّ نوعاً من الحب أقصى أخيل عن المعركة، ونوع آخر عاد به إليها (Barnes, 2014, p.12, 13.).

وإذا تركنا الأفكار الخاطئة المتراكمة، والموروث الأسطوري الذي عزّز تلك الأفكار جانباً، وبحثنا في الموضوع بجدية أكبر، سنجد أنَّ لهذه الظاهرة أسباباً مختلفةً منها أسباب بيولوجية، وعُقد اجتماعية، وعُقد نفسية، وقد اختلفت الآراء في تفسير هذا السلوك الشاذ؛ فتم عزوه من وجهة نظر علم الاجتماع إلى عزلة النساء أو قلتهن، أو ما يسود الحياة العسكرية من كبت في العواطف، وحرمان من الجنس، أو الافتتان بالجسد العاري في الألعاب، أو الاستجابة لنداء الغريزة حيثما يشتدُّ الاختلاط وتتوافر عناصر التحاب(علي، 1974م، 68). أمَّا على الصعيد البيولوجي فقد اعتقد الإغريق أنَّ الشذوذَ الجنسي عند الناس هو ناتج عن حصول الإنسان على أعضاء تناسلية خطأ؛ سواء الذكور عندما يحصلون على أعضاء مؤنثة، أو بالعكس. ويُعدُّ الطبيب اليوناني سوارنوس Soranus خير من عالج موضوع الشذوذ الجنسي عند النساء في العصور القديمة، والذي أشار إلى «إن الرغبة الزائدة عند النساء هي التي يمكن أن تتحول إلى شذوذ، والتي يمكن معالجتها بالختان»، طبعاً رغم أن هناك تُكتماً على موضوع الشذوذ الجنسي عند النساء في بلاد الإغريق قبل احتلال الرومان لها في سنة 146 ق.م (Speth, 2015, p.10). بينما يذهب علم النفس إلى أنَّ الشذوذَ الجنسي في المجتمع اليوناني القديم مردَّه العُقد النفسية، على اعتبار أنَّ الشذوذَ في تشخيصه مشكلة نفسية أكثر ممَّا هو مشكلة بيولوجية، ومشكلة نفسية فردية قبل أن يصبحَ مشكلة اجتماعية، وقد بدأ الشذوذ الجنسي عند النساء قبل الرجال، وقد بدأ من النظرة الفوقية للجنس الأقوى (الذكور) إلى الجنس الأضعف (الإناث) والنفور النفسي منهن.

إنَّ هذه العُقدة يمكن أن نلامسها في شخصيات تُعدُّ محورية في البنية الثقافية عند الإغريق، لاسيما أنَّ هذه الشخصيات هي الأكثر تعصُّبًا في تاريخ البشرية ضد المرأة، ويأتي على رأسها الشاعر هزيود Hesiod الذي عاش في القرن الثامن ق.م؛ حداً وصلت درجة عداءه للمرأة أنه كان محتاراً فيما ينصح قُرَّاءه، هل ينصحهم بالزواج أم بالعزوبة؟ على اعتبار أنَّ الزواجَ شرٌّ من وجهة نظره، وهو «شرٌّ جميلٌ» لا يستطيع الرجل أن يقاومه، لكن هزيود قاومه، إذ يبدو أنه كان مؤمناً بنظريته جدًا، لدرجة أنه عاش دون امرأة، إذ كان عازباً أو أرملاً (عياد، 1980، ص116)، ومن آرائه في النساء: «إن من يركن إلى إمرأة مثل الذي يركن إلى لصٍّ»، فالمرأة إذاً كانت في نظره نموذجًا حيًا للخيانة والخديعة. وهزيود نفسه كان ضحية الموروث الأسطوري المتوارث، إذ كان من أنصار أسطورة يونانية قديمة، يُقصُّها علينا في كتابه أنساب الآلهة، تصف المرأة «باندورا-حواء» بأنَّها: «هدية الإله زيوس للبشر في ساعة غضب» (Persson, 2016, p.9)، هذا فيما يخصُّ نظرة المجتمع.

أمَّا الذين تزوجوا فلم تكن المؤسسة الزوجية في نظرهم مؤسسة مُقدسَّة، فرغم أنَّ الإغريقَ كانوا ينظرون إلى بيت دون امرأة كبيت فارغ، ورغم أن كل بيت في اليونان كان فيه غرفة خاصة للزوجين؛ فيها سرير زوجي، إلاَّ أن الحرية الجنسية كانت مطلقة للرجل في المجتمع اليوناني (Adãmut, p.12)، حيث كان هناك اعترافٌ أنَّ الزواجَ لا يمكن أن يحتوي شبق الرجل، لذلك كان الرجال المتزوجون وغير المتزوجين أحرارًا في ممارسة الجنس مع العاهرات الإماء (غارلاند، 2023م، ص254)، وكان للرجل أن يتخذَ لنفسه ما شاء من المحظيات له دون أن يتسببَ له ذلك بمشكلة (Kelleher, 2011, p.21). هذا ناهيك أنه لم ينظر إلى المرأة على أنها مواطن حقيقي في الدولة يتمتع بكامل حقوقه، وبالتالي أُخرجت المرأة خارج مجتمع الأحرار، مثلها مثل العبيد والغرباء المقيمين، وهكذا حُرمت من حقوقها السياسية، تلك الحقوق التي حُصرت بالذكور البالغين؛ الذين تجاوزوا العشرين سنة من عمرهم فقط (Bonk, 2013, p.23).

إنَّ النظرةَ الذكورية المتعالية على المرأة، قابلتها ردة فعل نسائية خطيرة على المجتمع، لم تقف عند الخيانة الزوجية، بل تعدتها إلى موضوع الشذوذ الجنسي عند النساء، وربما إنَّ الشذوذ الجنسي عند النساء أقدم منه عند الذكور. وتلك الحركة قادتها الشاعرة اليونانية المشهورة سافو Sappho (560 - 612 ق.م) ، وهي امرأة مشهورة برغباتها الجنسية الشاذة

اتجاه الفتيات السحاقيات Lesbianism، حتَّى أنَّ سافو كانت أوَّلَ امرأةٍ في بلاد اليونان فتحت مدرسـةً لتعليم الفتيات السحاقيات الشعر والموسـيقى في جزيرة لسبوس Lesbos، ومن اسم الجزيرة تمَّ اشـتقاقُ لفظ السـحاقيات، وفي تلك الجزيرة كانت توجد مدرسـة مُغلقة للفتيات السحاقيات، حتى أنهن كن يتجولن فيها عاريات، ولم تكن سافو تُسمّي الفتايات في مدرستها تلميذات، بل رفيقات. وقد نظمت فيهن كثيراً من الأشـعار (120 ألف بيت)؛ تكشـف فيها عن عشـقها للتلميذات (عياد، 1980م، ص167)، ومدح السـحاق، والتصريح بشـوقها إليه، حتى وُصفت بأنها شاعرة الشذوذ الجنسي.

لقد بدأت القصة مع الشاعرة سافو حين تزوَّجت رجلاً انجبت منه طفلة، ثم أصيب بعدها الزوج بالعجز الجنسي، فلم يعد قادرًا أن يشـبعَ لها غريزتها، ورغم أن الشـاعر الروماني أوفيد Ovid يُؤكد أن سافو تعرَّضت للَّوم الاجتماعي كسحاقية، إلَّا أننا لم نعثر على نصٍّ معاصر يُبين نظرة المجتمع اليوناني إلى هذه المجموعة من الفتيات اللواتي اخترن لأنفسهن هذا النمط من العلاقات الجنسـية الشـاذة (Speth, 2015, p.47). فمن الصعب جدًا معرفة نظرة اليونان إلى موضوع الشذوذ الجنسي عند النساء، باستثناء الثناء الذي حصلت عليه الشاعرة اليونانية سافو مـن قبل كبار الكتاب والأدباء الإغريـق، وهؤلاء فئة تُعبرِّ عن رأي محـدود من أبناء المجتمع (Speth, 2015, p.10)، لكن هذا الشـذوذ لم يُقابل باللوم كما أدَّعى أوفيد، والدليل على ذلك هو أنه كثيراً ما كانت تُغنى الأشعار التي كتبتها سافو في حفلات الزفاف في بلاد اليونان من قبل جوقات الفتيات الشابات (Pomeroy, 2004, p.83).

ويبدو أنَّ الإغريقَ قد قبلوا اللواط بين الرجال، وعدُّوه نوعاً من المطارحة النبيلة، وعلاقة جسـدية عابرة بين ذكريـن، ومن دون أن يطالبـوا أن تحلَّ المثلية محلَّ العلاقـة الطبيعية، وما أرادوه هـو أن تكـون العلاقة الأولى رافـدة للثانية، لا بل إنهم احتقـروا المخنثين؛ الذين ليس بوسـعهم الاسـتغناء عن هذه الممارسـات، وهكذا عدَّ الإغريق أنَّ المثليةَ فعـلٌ مقبولٌ ضمن شروط مُعينة (غارلاند، 2023م، ص257)، ويشهد على ذلك علاقة أخيل مع بريسيس وفطرقل في الإلياذة، فعلاقة أخيل الجنسـية مع بريسـيس تمَّت منذ أن أهديت إليه؛ مكافأة له كمحارب عظيم. لكن هذه العلاقة الطبيعية بين أخيل وبريسيس، لم تمنع من استمرار العلاقة الشاذة بين أخيل وفطرقل، والعكس صحيح، فالعلاقة المثلية الجنسية بين أخيل وفطرقل لم تدفع إلى طرد

بريسيس من مشهد الأحداث، وجميع المثليين الجنسيين في المجتمعات الغربية القديمة، كانت لهم علاقات جنسية مع العاهرات، إضافة إلى علاقات الشذوذ الجنسي (Barnes, 2014, pp.12, 13). لكن المشكلة الكبرى التي وقع فيها المجتمع اليوناني القديم، أن فعل اللواط الذي كان في نظرهم لا يتعدى كونه علاقة عابرة، تحوّل إلى مرض اجتماعي متمثل في زواج الشواذ جنسياً، بمعنى حلول المثلية محل العلاقة الطبيعية التي يجب أن تقوم بين رجل وامرأة (Barnes, 2014, p.5)، وأقدم مثال على هذه المشكلة هو زواج هارموديوس Harmodius من أرسطوجيتون (Aristogeiton) Barnes, 2014, pp.2, 3.

وإذا بحثنا في المعطيات التي أدَّت إلى شيوع الشذوذ الجنسي، سنجد أن العزوف عن الزواج أو تأخير سنه كان من أهم الأسباب، فرغم أنه كان يحقُّ نظرياً للفتى في أثينا الزواج متى بلغ 18 من عمره، إلَّا أنه من النادر أن يتزوج فتيان أثينا في سنٍّ مبكرة، بل كانوا يفضلون الانتظار حتى يتجاوزوا سنَّ الثلاثين. إن الفراغ الذي يترُك فيه الفتى، والحرمان الجنسي من علاقة منتظمة يُولد الشذوذ، ويفتح باب الدعارة الذكورية على مصراعيه في ظلِّ انعدام القيم الاجتماعية، وغياب الرادع الديني، وانتشار مفاهيم وموروثات خاطئ (Pomeroy, 2004, p.158)، حتى أمست أثينا واحة الشذوذ الجنسي والبغاء الذكوري في العصور القديمة (Adãmut, p.13).

ولما كان الجيشُ جزءاً من المجتمع تسرَّب إليه الشذوذ الجنسي، وإن كان عددٌ من المؤرخين يرى العكس، أي أنَّ الجيشَ هو الذي أتى بالشذوذ الجنسي إلى المجتمع، حتى إن إحدى النظريات القديمة برهنت أن اللواط قد وفد إلى اليونان مع الغزوات الدورية، استناداً إلى بنية الدوريين العسكرية المتينة (Barnes, 2014, p.2). وبالعموم أكد المؤرخون أن اللواط كان جزءاً من عقيدة المجتمعات الغربية القديمة المحاربة، حيث يضطر الذكور إلى الانغلاق على أنفسهم، وفي هذه الأماكن المغلقة تنشأ علاقات جنسية شاذة، وقد بَرَّرَ أولئك المحاربون أن هذه العلاقات الجنسية فيما بينهم ما هي إلا نوع من صداقات متينة وحميمية (Adãmut, p.15)، وقد استشهد المؤرخون بنماذج، والتي كان فيها كتيبة مقاتلة قوامها ثلاثمئة شاب انخرطوا في سلكها على أساس أنَّ كُلَّ شابين فيها متحابان، وكانا يُدربان على أنماط عاطفة الحب المتبادل، والقتال سوياً ولقاء الموت معاً في الميدان (علي، 1974، ص68). وقد اقترح فريقٌ من المؤرخين أنَّ اللواطَ قد أتى إلى أثينا من إسبارطة التي كانت تسودها أجواء عسكرية

قاسـية، وكان يتمُّ فيها انتزاع الفتى من أسرته في سـنٍّ مبكرة، ووضعه تحت سلطة مدربين أكبر منه سناً، ولم تجد إسبارطة مشكلة في رواج المثلية الجنسية بين جنودها؛ مدعية أنها أحد أنواع زيادة اللحمة العسكرية فيما بينهم (Barnes, 2014, p.2).

طبعاً لا شـك أن اللواط قد طبَّقته المجتمعات اليونانية المحاربة، لكنه أقدم من الدوريين وأقدم من الإسبارطيين، وأقدم من داركون وقوانينه الصارمة، فمن يقرأ الإلياذة سيجد أنَّهُ ولوقتٍ طويـل كانت الأخبار تنتهي إلى مسـامع أخيل عمَّا يدور في سـاحة المعركـة، وعمَّا يعاني منه الآخيون من خسائر كبيرة، وأنه قتل منهم عدد كبير، وهدد معسكرهم في أكثر من مرة، لكنه بقي خاملاً لا يريد القتال، حتى وصل إليه نبأ مقتل شخص واحد هو فطرقل على يد هيكتور، فظهر في الميـدان بعنفوان لا يوصف، وانتقم بذبح هيكتـور البطل الطروادي، في الواقع لم يكن قتل هيكتـور مفخرة عظيمة فقط، بل تضحية لا توصف، لأنَّ النبوءةَ كانت قد أشـارت إلى أنَّ أخيل إذا ظلَّ معتزلاً القتال؛ فإنه سيعود إلى بيته وسيموت بسبب الشيخوخة، بمعنى أنَّهُ سيحيى عمراً مديداً، أمَّا إذا قاتل فإنه سيموت في الميدان، وهكذا قبِل أخيل بالموت من أجل الانتقام لموت صديقـه فطرقل، وهكذا تتلخص الصداقة الحميمية في المجتمعات المحاربة (Barnes, 2014, p.14).

لقـد كان للشـذوذ الجنسي في المجتمع الإغريقـي أعرافٌ، منها: أنـه لم يكن الاتصال الجنسي المثلي بين الذكور مقبولاً إلَّا حينما يكون غير متناظر، أي بمعنى أنه يفترض أن تكون العلاقة الشـاذة (اللـواط) بين ذكرين؛ أحداهما رجل والآخر فتى مراهق شـاب لم تنبت لحيته بعـد، فبينما كان الرجل قد جاوز الثلاثين يجب أن يكون الفتى بعمر 12- 15 سـنة، أي قبل أن ينهـي الفتى دروسـه في الثامنة عشر من عمـره. ويجب أن يكون الرجل هو الشريك النشـيط حـصراً، ومن المخزي له أن يكون الشريك السـلبي. وعلى الفتـى ألَّا يقبل المال من الرجل، ويبقى الفتى يمارس عليه اللواط حتى يبلغ سـنَّ الرشـد ويعترف به كمواطن (Dover, 1987, pp.91-109). إنَّ هـذه الصـلات كانت جزءاً من ثقافة المجتمع وهويته، وكانت تُوفر أسـاس التربية الأرستقراطية في عصر الآخين، وقد أدَّعى القائمون على هذا النظام التربوي المقيت، أن اللواط يزيد الفتى حكمةً وضبطًا للنفس ويُطور من شـخصيته. وادَّعى الإغريق أن هذه العلاقة (اللـواط) لا تُقدِّمُ السرور الجنسي إلى الحبيـب فقط، وإنما تقدم إلى المحبوب أصول التربية

(Kelleher, 2011, p.13)، وإنَّ أقـدمَ مثال نمتلكه يدعم وجهة النظر هذه هو بداية العلاقة بين فطرقـل وأخيل، والتـي تعود إلى وقت كانا صغيرين جداً في مملكـة باثيا Phthia، عندما كان بيولـس Peleus والـد أخيل ملكاً هناك، وأتى مينوتيـوس Menoetius بابنه فطرقل من أوبوس Opous، ليتربىَّ سـويةً مع أخيل، ويكون مُرشـداً له، كونه كان أكبر منه سـنَّاً (Barnes, 2014, p.10).

وقد أكَّدَ إكسـينوفون Xenophon أن الشـذوذ الجنسي عند الإغريق كان جزءاً من أساس التربية المدرسية، إذ كان من الواجب على الفتى أن يرتبطَ عاطفيا بأستاذه، فكُلُّ فتى بالغ نبتت لحيتـه عليه أن يكون قد تعلَّمَ شـيئاً عـن اللواطة، لأنها أمرٌ مهمٌ يجب أن يعـرف عنه التلميذ، وغالبًا ما تكون هذه العلاقة بين رجل بالغ وفتى مراهق (Adãmut, p.14) كما أسلفنا. ويُسمَّى الرجـل الـذي يقوم بفعل اللواط في اللغة اليونانية القديمـة Erastes، بينما كان الفتى المراهق الذي يقع عليه فعل اللواط يُسمَّى Eromenos بمعنى المحبوب (Barnes, 2014, p.1). وهذه السـمة التربوية امتدت إلى ما بعد فترة المراهقة؛ فتحول اللواط إلى ظاهرة شـذوذ جنسي عام في المجتمـع، بمعنى أن العلاقة لم تعد بين مراهق وشـاب، وإنمـا أصبحت بين بالغين اثنين (Adãmut, p.16)، وبعـد أن أدرك كثير من المشرعين في أثينا أن الشـذوذ الجنسي قد أفسـد فتيان المدينة، عمدت كثيرٌ من المدارس إلى البحث عن مُدرسين فوق سن40 سنة، على فرض أن شهواتهم الجنسية ستكون أخف (Kelleher, 2011, p.16).

كما كان الشـذوذ الجنسي عند الإغريق جزءاً من أسـاس التربية الرياضية، فجميعنا يعلم مـدى أهميـة الرياضة بالنسـبة إلى الإغريـق، وكان الجمنازيوم؛ وهو مؤسسـة تربوية رياضية يونانية، دورٌ كبيرٌ في شـيوع اللواط في المجتمع اليوناني، والجمنازيوم لغة يعني مكان التعرِّي (غلاند، 2023م، ص255)، ولما كان الجمنازيوم المكان الاجتماعي والرياضي لنخبة أثينا، إذ كانوا يلتقون فيه للجلوس، والتحدث، والاسـتمتاع بمشاهدة العروض الرياضية. كان الأطفال والفتيـان يدربون أجسـادهم بالرياضة فيه؛ مـن أجل أن يصبحوا جنودًا بلياقـة عالية لمواصلة الكفاح في ساحة المعركة، وفيه كانوا يتدربون ويُقدِّمون عروضهم الرياضية وهم عراة، لكن في هذا المكان اسـتملح كثيرٌ من الإغريق معاشرة الأطفال، بعد أن أغرتهم رشـاقتهم، وسرعان ما صاروا عُشَّاقاً لهؤلاء الفتيان (Kelleher, 2011, p.14). وقد تردد في شعر كأناكريون وإبيكوس

وثيوجينس أبيات عديدة في غزل الغلمان (علي، 1974، ص68). ورغم أنَّ القانون الاثني ربط جريمة الاعتداء على الكبرياء بجريمة الاعتداء الجنسي، ومرتكبها المدان كان يُحكم عليه بالموت، فقد كانت مشكلة الفتيان الأساسية في أنهم تحت السنِّ القانونية، وبالتالي كانوا غير مُؤَهَّلين للدفاع عن أنفسهم (Kelleher, 2011, p.17). والأبشع أن الإغريق قاموا باستغلال أطفال العبيد جنسياً؛ إذ جرت العادة على دفع الأطفال الذين تمَّ استرقاقهم إلى العمل في بيوت الدعارة الذكورية، كما كان الحال مع فيدون الإليسي (السليمان، 2021م، ص210).

والأهم أن الشذوذ الجنسي عند الإغريق كان نوعاً من التربية الوطنية، فالمؤرخون يصفون لنا علاقة الحب المتينة بين الزوجين المثليين هارموديس وأرسطوجيتون، والغيرة التي أدَّت إلى اغتيال طاغية أثينا هيبارخوس Hipparchus ابن بيسيتراتوس Peisistratus في سنة 514 ق.م، على يد هذين الزوجين، فبعد أن أحبَّ هيبارخوس الشابَ المخنثَ هارموديس، كان هذا الأخير متعلقاً بأرسطوجيتون، وعندما رفض هارموديس أن يستجيبَ لرغبات هيبارخوس، بدأ الأخير يُعدُّ العدة للانتقام منه فطلب من أخت هارموديس أن تكون إحدى حاملات الهدايا في احتفالات عيد عموم الأثينيين، وكان ذلك شرفاً خاصاً ببنات الأسر الشريفة، وقد قبلت الفتاة الأمر بطيب نية، لكن هيبارخوس وبَّخها أمام الحاضرين بحجة أنَّها لا ترقى إلى هذا الشرف، عندها خطَّط كُلٌّ من هارموديس وأرسطوجيتون لقتل هيبارخوس، وكان لهذه الحادثة دور عظيم في تحول أثينا نحو النظام الديمقراطي، بمعنى أنَّ اليونانيين كانوا يُمجِّدون هذين الزوجين، لدورهما البارز في إسقاط الاستبداد والتحول نحو الديمقراطية الأثينية، وتم تكريم هذين المثليين بتخليدهما بتمثال برونزي، ومُنع إطلاق اسميهما على العبيد (Barnes, 2014, pp.7,8). وإن كانت هذه الشخصيات نصفها تاريخي ونصفها أسطوري، فإنها حملت الكثير من الرمزية لأثينا، فهذه الشخصيات لم تكن أسماء عادية لتنسخ من التاريخ، وبالتالي فإنَّ جميعَ تصرُّفاتهم رفعت إلى درجة القداسة، ويبدو أنّ اليونانيين استخدموا أسماءهم لتأكيد شرعية المثلية الجنسية التي يقومون بها (Barnes, 2014, p.5).

■ ثانياً الشذوذ الجنسي عند المقدونيين:

إنَّ أفضلَ مثال يمكن أن يُدرَّسَ للشذوذ الجنسي عند المقدونيين هو قائدهم الإسكندر

المقدوني، لقد كانت ميول الإسكندر المقدوني الجنسية موضع نقاش وشك بين المؤرخين، وما كان يعزز تلك الشكوك أن الإسكندر لم يمتلك أيَّة عشيقة، كما إنَّ جميعَ زيجاته عُقدت لأغراض سياسية (Thornton, 1988, p.33)، وبالعودة للتاريخ يتبين لنا فعلاً أن الإسكندر كان يتزوج لأغراض سياسية بحتة، فقد تزوَّج من روكسانا Roxane زواجاً سياسياً في أثناء حملة صغديا Sogdiana في ربيع سنة 327 ق.م، وبعد عودته من حملته على بلاد الهند تزوَّجَ من ستاتريا Stateira ابنة الملك الفارسي داريوس الثالث Darius III (331 -335ق.م) في سوسا Susa في ربيع سنة 324 ق.م. لقد كانت عادةُ تعدد الزوجات والإكثار منهن عادة مُتَّبعة في مقدونيا؛ حتى الإسكندر نفسه كانت أُمُّهُ أولمبياس هي الزوجة الرابعة لفيليب؛ والتي تزوَّجها في غمرة تحالفاته السياسية. إذًا كانت جميع تلك الزيجات تتمُّ لأغراض دبلوماسية، وليس هناك ما يُثبت أن الإسكندر كان عاشقًا لأيٍّ من تلك النساء اللواتي تزوج منهن. عموماً لم يكن الزواج في المجتمعات اليونانية يقوم على الحبِّ، لأن المرأة اليونانية أدنى قيمة من الرجل؛ وهي لا تستحق أن يحبها، وفق المعتقدات اليونانية القديمة، وبالتالي زوجات الإسكندر وفق تلك العقلية السائدة في ذلك العصر هن أوضع من أن يأسرن قلبه، وإنَّ وجودهن كنوعٍ من توطيد العلاقات الدبلوماسية (Kitchen, 2020, p.5)، ورغم وجاهة هذا الشاهد إلَّا أننا بحاجة إلى دراسةٍ أعمق لفهم جذور الإشكاليةُ:

لقد كان الإسكندر حليق الوجه، وكانت تلك العادة تُعدُّ إشارة إلى المخنثين، إلَّا أنَّ رفاق الإسكندر قد اقتدوا به، واستمرَّ ملوك اليونان والرومان يحلقون ذقونهم حتى عهد الإمبراطور الروماني هادريان Hadrian (117 - 138م) الذي أطلق ذقنه (Alterman, 2000, p.6). فهل كان الإسكندر خنيثاً حقاً؟ لقد شجَّعت بعض دويلات المدن اليونانية العلاقات الجنسية المثلية (اللواط) بين أفراد الوحدات العسكرية المقاتلة كنوعٍ من الرابط النفسي بين عناصرها، فالفرقة المقدسة في طيبة كانت تتبع مثل هذا الأسلوب من العلاقات الجنسية المثلية، وربما إنَّ هذه العادة تسرَّبت إلى مقدونيا من خلال الرهائن الذين كانت ترسلهم مقدونية إلى طيبة (قبل أن يعتلي فيليب الثاني العرش كان رهينة في طيبة بين سنتي 364 -367 ق.م أي بين الـ 15 و 18 من عمره)، حتى أن المصادر التاريخية تشير إلى أنَّ فيليب الثاني كان متورطاً في عدد من العلاقات الجنسية المثلية، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنَّ سببَ مقتل فيليب كان ناجما عن تلك

العلاقات الشـاذة، بعد أن اشتكى له الضابط بوسنياس Pausanias (وكان أحد المثليين جنسياً ، والذي ربطته علاقة حميمة مع فيليب الثاني)؛ بأنه تعرَّض إلى الإهانة والاغتصاب بقسوة من قبـل أتالوس، فأعرض عنه فيليب ورفض أن يأخذ له حقه، فما كان من بوسـنياس إلَّا أن انتقم منه بقتله، في حين تحاول المراجع الكلاسـيكية التي اعتادت تمجد الإسكندر ووالده أن تُلقي باللائمة على الفرس، وتُصوِّر بوسـنياس على أنَّهُ عميلٌ مدسـوسٌ، قَتَـلَ فيليب بعد أن دفع له الفرس وأمروه بذلك (Kitchen, 2020, p.7).

وبمـا أن الإسـكندر كان فـردًا في هـذا المجتمـع كان مـن الطبيعي أن يقيـم عددًا من هذه العلاقات المثلية، وقد جرى أنه كان عاشـقًا لأحد أصدقائه المدعو هفايسـتيون ، والذي كان ينعتـه المؤرخ الإغريقي أليانـوس تاكيتوس Aelianus Tacticus (101 - 150م) بالمفردة الإغريقية «إيرومينوس» والتي تعني «المحبوب» باليونانية القديمة، ويذكر لنا هذا المؤرخ قصة تدعم شـكوكنا؛ جاء فيها أن الإسـكندر عندما زار طروادة، اتجه إلى قبر أخيل وكلَّله بالزهور، فيما اتجه هفايسـتيون إلى قبر فطرقل وكلَّله كذلك، ممَّا يعني أنه كان عشـيقًا للإسكندر، تماماً كما كان فطرقل عشيقًا لأخيل، بمعنى أنَّ كُلَّ واحدٍ منهم قد توَّجَ قبرَ نظيره.

ورغـم أن الإغريـق لم يكترثوا كثيراً بقضايا المثليين جنسـياً، وغضَّـوا النظر عنها بصفتها شـكل من أشـكال الدعارة الذكورية الشائعة بينهم، كما لم تكن بالأمر المحرّم أو غير الطبيعي في تلـك الأيـام، إلا أنها كانت تعدُّ نقيصـة أخلاقية لا يمكن المجاهرة بها، ولا شـك أن هذه العلاقة الجنسية الشاذة كانت في نظر معاصريه أمراً مرفوضاً لقائد بحجمه، إلا أن الإسكندر لم يكترث بالأمر، لكن الذي أثار جنونه هو موت هفايستيون بالمرض، فأمر بقتل الطبيب المشرف على علاجه، وحلق رأسـه حدادًا عليه، وأمر له بجنازة عظيمة، لا بل إن الإسكندر فقد أعصابه من شدة الحزن فاستمر أربعين يوماً في حالة هياج شديد، يهاجم خلالها القرى ويقتل كل من يلاقيه في طريقه، لقد لعبت وفاة هفايستيون دورًا في جعل صحة الإسكندر تتراجع بوتيرة أكبر، وأسهمت في اختلال اتزانه العقلي (Kromhout, pp.26, 27).

في الواقـع لم يكتفِ الإسـكندر بصديقه هفايسـتيون بل أقـام علاقة مع الخصي باجوس Bagoas، وحتـى نكون منصفين: لم يكن من العادات والتقاليد اليونانية أن يكون هناك خصي في القصر، فهم ليسـوا مواطنين كاملين، ولا يحقُّ لهم شـغل الوظائف العامة، ولما كانت هذه

العادة شائعة في القصور الفارسية، لم يجد الإسكندر حرجاً من إبقاء هذا الخصي في رفقته، واتخذ منه وسيلة لإشباع رغباته الجنسية، ولم يستطع الإسكندر أن يخفي شوقه إليه وعلاقته به أمام الجميع؛ فالمؤرخ الشهير بلوتارخ يصف القبل الحميمية والمودة البالغة لهذا الخصي من قبل الإسكندر، ولم تؤدِ هذه المعاملة إزعاجاً لأحد من جنود الحملة اليونانيين أو المقدونيين، حيث إنها كانت ضمن العادات والتقاليد اليونانية للدعارة الذكورية (Kitchen, 2020, p.5). بمعنى إن جميع علاقات الإسكندر الجنسية سواء السليمة منها أو الشاذة كانت متسقة مع العادات والتقاليد والأفكار اليونانية الموروثة حول الجنس.

■ ثالثاً: الشذوذ الجنسي عند الرومان:

لقد كان شيشرون يرى أن كل من يخالف الطبيعية هو شاذ وغير مقبول، فمثلاً أكّد أن المشي على الأيدي أو إلى الخلف هو أمر شاذ وغير طبيعي، وبالتالي ووفقاً هذا المنطق يجب أن يكون اللواط فعلاً شاذًا. لكن يبدو أن كلامه لم يكن مقنعاً للرومان، مادام أنهم اعتقدوا أن شرج الطفل يجب أن يخترق من قبل رجل بالغ (Younes, 2017, p.18). في الواقع لقد لعبت الخلفية الثقافية دورها في الشذوذ الجنسي عند الرومان، فمن يطَّلع على بعض أساطيرهم يدرك ذلك، ففي إحدى الملاحم الأسطورية والتي دوَّنها الشاعر أوفيد شيءٌ من هذا القبيل، منها قصة إيفيس Iphis وإيناثي Ianthe هذه القصة تدور حول أمٍّ كانت حاملاً، فأتى إليها زوجها وأخبرها آسفًا بأنه سيقتل المولود إذا كان أنثى، فأتى السيدة الحامل الإله إيسيس Isis في حلمها، وأخبرها بأنها حامل بأنثى، وطلب منها أن تخفي حقيقة جنس المولودة عن أبيها، وأن تربي المولودة كمولود ذكر، وبالفعل فعلت الأم ذلك، إذ أنشأت ابتنها إيفيس كما لو أنها ذكر، وعندما كبرت إيفيس بحث والدها -الذي كان لا يزال يعتقد أنها ذكر- عن زوجة جميلة لابنه فوجد إيناثي، وتم تزويجهما من بعضيهما. طبعاً القصة لم تنته بشكل سيء، إذ تضرَّعت الأم إلى الإله إيسيس الذي تدخَّل في الوقت المناسب وحوَّل إيفيس إلى ذكر حقيقي، فتمَّ الزواج بصورة صحيحة، وبالتالي فإن فكرة التحول الجنسي لم تكن أمراً مستهجناً عندهم (Speth, p.12). وإذا تركنا الخلفية الثقافية قليلاً سنجد الواقع أشدَّ فظاعة؛ وإن فكرة الرجولة والطبيعة الجنسية عند الرومان كانت نوعاً مختلفة، فالمجتمع ذكوري وبالتالي الرجل يحق له أن يمارس ذكورته على النساء

وعلى الأطفال الذين هم أقل مرتبة اجتماعية منه، لكنه إذ سلَّم جسده ليكون هو المحبوب، فهذا انتقاص عظيم لرجولته، ووفقاً لهذه القاعدة كان بوسع الرجل الروماني أن يتمتع بعبيده جنسياً كيف ما شاء ومتى ما شاء، أولئك الأفراد الذين ما كان عندهم قوة قانونية تحميهم (Younes, 2017, p.20).

وقد كتب الشاعر الروماني بروبرتيوس Propertius في نصف الأول من القرن الأول ق.م: «أعدائي يقعون في حب النساء، وأصدقائي في حب الأولاد [اللواط] ... لا يمكن أن يأتي الأذى من مثل هذه القناة الضيقة [يقصد شرج الاطفال]». بشكل عام مارس الرومان الشذوذ الجنسي كما فعل الإغريق من قبلهم، فطالما تمَّت ممارسة اللواط على عبد صغير؛ فهذا الفعل قانوني، لكن الرومان مثلهم مثل الإغريق استهجنوا أن يمارس الرجل الحر فعل اللواط بالدور السلبي في الجنس (دور المعشوق: impudicus)، وقد أكدَّ الفيلسوف سنيكا Seneca على ذلك، ورفض أن يستمر الرجل في مضاجعة العبد الصغير بعد أن يكبر وينبت في وجهه شعر، لأنه عندها سيُعدُّ عملاً مقرفًا وغير شرعي (Veyne, 1985, pp.31-33).

ولم يقتصر الأمر في روما على الدعارة الذكورية، فلدينا كثيرٌ من الأمثلة عن المرأة الرومانية الشاذة، التي كانت تهرب من فراش زوجها لتمارس السحاق؛ مع سيدة تماثلها في الشهوة الشاذة. وقد استخدم الرومان الكلمة اليونانية τριβάς (tribas) وتعني «فرك» للإشارة للسحاقيات، وكانت الكلمة تستخدم للإشارة إلى الفتاة الشاذة جنسيًا. وقد أكَّد الرومان أن هذه العادة قد وفدت على نسائهم من الإغريق. وقد تحدَّث الكُتّاب الرومان عن السحاقيات في المجتمع، دون الإشارة إلى كيفية ممارسة هذا الفعل، تاركين للقارئ أن يطلق العنان لمخيلته، ويبدو أن تلك الأفعال في العصور القديمة لا تختلف كثيراً عنها في العصور الحديثة (Speth, pp.3+8+11).

ويبدو أنَّ الفساد الخلقي قد شاع في المجتمع الروماني، وانتشر الشذوذ الجنسي حتى وقع فيه أبرز الشخصيات الرومانية؛ وكان على رأسها يوليوس قيصر Julius Caesar (100 - 44 ق.م) ، الذي وصفه الجنرال سولا Sula «إنه لا يتمنطق بالحزام جيداً، ويتركه مرتخياً، ويرتدي مثل النساء أكماماً مُطرزة من المعصم». ولعل أشهر القصص التي حفظها المؤرخون عن شذوذه الجنسي علاقته المشبوهة مع ملك بثينا، فعندما ذهب قيصر إلى آسيا الصغرى، في بعثة رسمية

كبريتـور، لمقابلة نيكوميديس الرابع ملـك بثينا، قابله الأخير بكثير من الحفاوة حتى أنه أعطاه جناحه الخاص لينام به، ويرتاح من عناء السفر، وهي الحادثة التي تسبَّبت في ظهور الشائعات. وما عزَّز تلك الشـائعات أنه نسي نفسـه في حفل الوداع الذي أقامه الملك، فقام بدور الساقي واضعاً نفسـه إلى جانب حاشية الملك؛ من الشباب المخنثين والفتاة ساحرة الجمال. وهذا ما دفع شيشرون إلى أن يصرخ: «إنَّ قيصر فقد عذريته في بثينا»، وسرعان ما انتشرت هذه الشائعة في روما، ويبدو أن الذي نقل هذه الأخبار هم التجار الرومان الذين حضروا حفل الوداع. وقد ردَّد الجنود الرومان حتى عندما كانوا تحت إمرة قيصر أغنية بذيئة يتهمون فيها قيصر برجولته، وكان ذلك في موكب النصر الذي منح له على انتصاراته في بلاد الغال، ما أغضب قيصر ودفعه إلى أن يُغلظ الأيمان أنها تهمة باطلة ومحض افتراء. ولكن روما لتغفر لقيصر زلته حتى بعد أن شاع عنه في روما أنه زير نساء، فمنافسه دولابيلا يُسميِّه «المنافس النسائي لملكة بثينا». ويقول عنه جايوس سـكريبونيوس كوريو (قنصل سنة 77 ق.م) أنه: «عروس نيكوميديس»، و«مومس بثينـا»، و«زوج كل امـرأة وزوجة كل رجل». وعندما كان قيصر في مجلس الشيـوخ يدافع عن بعض رعايا نيكوميديس بعد موته، تهكَّم أحد الحاضرين وقال مُسـتهزئاً «إنَّ قيصر مدين لهذا الملك بأكثر من معروف»، فقاطعه شـيشرون بالقول: «دعـك من هذا القول أرجوك، فجميعنا يعرف المعروف الذي صنعه الملك لهذا الرجل، والثمن الذي دفعه إليه». ويورد سـويتونيوس في بيتين من قصيدة هجائية للشاعر كالفوس يقول فيها: «ثروات ملك بثينا الذي دلَّل قيصر في فراشـه». والجدير بالذكر أن قيصر ذهب إلى بثينا بعد موت ملكها، على أمل أن يجد اسمه في وصيته (عتمان، 1985م، ص424).

لم يكـن قيـصر وحده شـاذاً، كذلك كان صديقه مـارك أنطونيـوس Marcus Antonius (83 - 30 ق.م)، إذ ذكر المؤرخون أنه كان هناك عشـيقٌ ذكرٌ لأنطونيوس اسمه ميسالا (كان رفيق بروتس)، ثم أصبح على صلة وثيقة بأنطونيوس، وأقام معه علاقة شاذة، إلى أن أضحى أنطونيوس عبدًا لكليوباترا، وهكذا لم تظهر كليوباترا على أنها دمرت مصالح أنطونيوس السياسية فحسب، بل استخدم خصوم أنطونيوس القصة للتأكيد على أن هجرة أنطونيوس إلى ميسالا؛ هي دليل على تخلِّيه عن التقاليد الرومانية (آشتون، 2017م، ص157). لكن بعد سقوط النظام الجمهوري وقيام النظام الإمبراطوري اسـتفحل الانحلال الخلقي، ولم تنفع صرامة القوانين التي سـنَّها أغسطس

للحدِّ مـن ظاهرة الانحلال الخلقي، لا بل إن الذي اقترح تخفيف هذه القوانين على أغسـطس وهو ماسـناس؛ كان مخنثاً ولم ينجب ولدًا، وفي هذا الوقت كان ماسـناس يعيش عيشـة الترف والخنوثة، وكان أغسطس يغوي زوجة هذا المخنث على الفحشاء (ديورانت، 1988م، ص32).

لقد وصل المجتمع اليوناني خلال هذا العصر إلى درجة من الانهيار أن هناك مصادر أدبية معاصرة تحدَّثت أن الشـذوذ صـار معترفٌ به من خلال زواج المثليـين، إذ يُحدثنا جوفينال عن زواج رجلين بالغين من بعضيهما في العصر الإمبراطوري، والشاعر جوفينال اشمأز من غراكوس Gracchus الفتـى الـذي ينحدر مـن أسرة نبيلة، كيف قبل على نفسـه أن يكون الزوجة في تلك العلاقة الشاذة، مع رجل هو أصلاً أدنى منه مرتبة اجتماعية. والأنكى من ذلك أن ذلك الزفاف تمَّ في مراسم رسمية؛ إذ حضر الحفل الشهود والضيوف وتمَّ عقد القران وفق مهر مُتفق عليه، وتمَّت الاحتفـالات، وجلبت العروس معها القماش المطـرز، وارتدت ثوب الزفاف الطويل، ووضعت الطرحة على رأسها، وجلست في حضن عريسها، ويؤُكِّد جوفينال أن الزفاف حصل تماماً كما لو أنه أُعدَّ لفتاة بكر زُفَّت من بيت أبيها إلى بيت زوجها (Gellérfi, 2020, p.96).

كـما تـردد أنَّ عدداً من أباطـرة الرومان مارس اللواط، وكان أولهـم تيبيروس، إذ كان تيبيروس رجلاً شـاذاً، كثير المجون، يهوى هتك أعراض الأطفال. أمَّا الإمبراطور نيرون Nero (54 - 68م) فقد كان منحلاً خلقيًا يسـير في شـوارع روما، ليحلق به الشـذاذ والمتملقون من الذكور والإناث، ويطلبوا منه أن يقدم لهم التسهيلات الجنسية (Younes, 2017, pp.12-14). وبعد أن توفيت سابينا Sabina، زوجة نيرون الثانية، أتى بعبده الشـاب سـبوروس Sporus فخصـاه وعدَّه زوجته الثالثة، وزفَّـه بثوب زفاف رسـمي، وقدَّم له المهـر، وتم الاحتفال بهذا الزفاف علنـاً. كما تزوج نيرون من معتق آخر اسـمه فيثاغورث Pythagoras، وأقام له حفل زفاف بشـهود ومهر وأريكة جلس عليها الزوجان وعلقت المصابيح بهذه المناسـبة، لكن فيثاغـورث كان الزوج في علاقته مع نيرون، وقد عزف نيرون لزوجه على القيثارة في هذا الاحتفال، الذي تم في أيام الاحتفالات بعيد الإله سـاتور Saturnalia. هـذا ناهيـك عن زيارة نيرون لبيـوت البغاء، والاغتصاب، وانتهـاك بكارة عذراوات الربة فيسـتال Vestal، ونكاحه المحرم مع أمه، وتعذيب أعدائه بضربهم على أعضائهم التناسـلية حتى الموت (Gellérfi, 2020, pp.94,95). لا شـك أن كل هذه الأمور دفعت بولس الرسـول إلى الكتابة للرومان ، فكما هو معلوم للجميع فإنَّ الدين السماوي يُحرِّم مخالفة الفطرة التي خلق عليها

الإنسان، فبدأ بولس الرسول رسالته إلى الرومان يستنكر فيها الشذوذ الجنسي عندهم، وتؤرخ هذه الرسالة تقريباً ما بين سنتي (56-57 ق.م) أي أنه بعثها في زمن نيرون (Younes, 2017, pp.12-14).

أمَّا الإمبراطور ألغبال Elagabal (218 - 222م) فقد حوَّلَ الحياة في روما خلال سنوات حُكمه إلى مكان موبوء بكل أصناف الانحراف التي باركها الدين، عدا أنه لم يكن يميز بين الحلال والحرام، فكل شيء بالنسبة إليه مباح، جمع بين خمس زوجات، وكانت إحداهن من عذراوات الربة فيستال؛ التي يحرم الزواج بهن، والظاهر أن الإمبراطور الشره للجنس لم تكفيه خمس زوجات، فأضاف إليهن رجلين اثنين؛ أحداهما كان عبده الكاري هيروكليس Hierocles الفتى صاحب الشعر الأشقر، والذي كان يعمل سائقاً لعربته، أمَّا زواجه الثاني فكان من الرياضي زوتيكوس Zoticus من سميرنا Smyrna على الساحل الغربي للأناضول. وقد أصبغ الإمبراطور على نفسه -خلال زواجه من هيروكليس- صفات الزوجة والعشيقة والملكة، وأراد أن يجعل من هيروكليس قيصراً رومانياً؛ لأنه كان يمارس عليه فعل اللواط، طبعاً من دون وجود إشارة واضحة إلى إقامة حفلة زفاف بمناسبة زواجهما. أما في زواج الإمبراطور الثاني من زوتيكوس، فقد تم إقامة حفل زفاف رسمي، وقد صرَّح الإمبراطور أنه يتمنى لو أنه كان أنثى حقاً، وكثيراً ما لعب دور ربة الجمال في المسرحيات التي كانت تعرض عنده في القصر، وكان يطيب له أن يُنعت بالصفات الأنثوية (Gellérfi, 2020, pp.91-93).

ويبدو أن الكثيرين اقتدوا بالإمبراطور، فهناك إشارات إلى أن عقود زواج تمت، وأقيمت حفلات زفاف للمثلين في الإمبراطورية الرومانية بصورة علنية، منها حفل الزفاف الذي تمَّ في سنة 342م، والموثق بالمخطوطة «Codex Theodosianus»، وإن ما يدعم هذا الرأي هو صدور قرار إمبراطوري في القرن الرابع يحظر هذا النوع من حفلات الزفاف؛ وقد استمر الشذوذ الجنسي في روما حتى منعه جستنيان الكبير بموجب القانون، لكن بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية 476م عاد الشذوذ الجنسي إلى الانتشار في أوروبا مرة أخرى (Gellérfi, 2020, p.90).

الخاتمة:

إنَّ الباحثَ في تاريخ المجتمعات الغربية القديمة سيجد أن الشذوذ الجنسي كان ظاهرة

عميقة الجذور عندهم، يدعمها موروث أسطوري، وأفكار خاطئة، وعقد اجتماعية ونفسية متراكمة، تخالف الفطرة السليمة التي فطر عليها البشر. وربما أن الشذوذ الجنسي عند النساء قد بدأ قبل الشذوذ الجنسي عند الذكور. ولم يعترف الغرب بالشذوذ الجنسي آفة اجتماعية بل سعى إلى الدفاع عنه، وتكريسه في مجتمعاته تحت شعارات مختلفة تراوحت ما بين الأسس التربوية والتربية الوطنية والتربية الرياضية وإعداد المواطن الصالح، والأنكى أنَّ الإله زيوس وفلاسفة الإغريق وجنرالات المقدونيين وأباطرة الرومان كانوا متورطين في مثل هذه الأفعال المشينة، وبالتالي لا حرج على عوام الناس.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد عتمان، يوليوس قيصر يسعى وراء السلطة، مجلة عالم الفكر، الصادرة عن وزارة الإعلام في دولة الكويت، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، سبتمبر 1985م.
- سالي-آن أشتون، كليوبترا ملكة مصر، ترجمة زينب عاطف، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة 2017م.
- روبرت غارلاند، الحياة اليومية لليونان القدماء، ترجمة ثائر ديب، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2023م.
- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي)، ج2، دار النهضة العربية، بيرت 1974م.
- عبد الله السليمان، الرقيق عند الإغريق، ضمن مشروع نقد الحضارة الغربية، ج4، تاريخ الإغريق بين القرنين الثامن والخامس ق.م، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت 2021م.
- محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، ط3، دار الفكر، دمشق 1980م.
- ول. ديورانت، قصة الحضارة، قيصر والمسيح، ج2، مج3، ترجمة: محمد بدران، بيروت 1988م.

المراجع الاجنبية:

- Adãmuţ. A., Philosophical Aspects of Homosexuality in Ancient Greek., University of Iaşi, Romania.
- Alterman, L., Alexander III and the men who made him great., Master of Philosophy, Faculty of Arts, University of Glasgow, London 2000.
- Barnes. K, E., Beyond pederasty: Finding models for adult male Homosexuality in Classical Athens, A thesis submitted to the faculty of The University of Mississippi in partial fulfillment of the requirements of the Sally McDonnell Barksdale Honors College., Oxford 2014.
- Bonk, E., Differentiating Slaves from Wives in Ancient Athens by Social

Death., Presented in partial fulfillment of the requirements for graduation with Honors Research., The Ohio State University 2013.

- Dover, K. J., Greek Homosexuality., Cambridge, MA: Harvard University Press 1978.
- Gellérfi, G., Nubit amicus: Same-sex weddings in Imperial Rome., Graeco-Latina Brunensia 2020.
- Kelleher. B., Acceptance through Restriction: Male Homosexuality in Ancient Athens, Journal of History; Series II Volume 16, Article 7, 2011.
- Kitchen, M., Interpreting Alexander III of Macedon's "Sexuality" in the Ancient Greco-Macedonian World, Western Illinois Historical Review., Volume XI, Spring 2020.
- Kromhout, A., & Helene van de Ven., Alexander the Great, Great leader or madman? Liberal Arts & Sciences Capstone Project: An Interdisciplinary study., Universiteit Utrecht.
- Persson, L., Women and Their Bodies in Classical Greece: The Hippocratic Female., Bachelor's Thesis in Classical Archaeology and Ancient History, Uppsala University 2016.
- Pomeroy. S., B., & Stanley M. Burstein, & Walter Donlan & Jennifer Tolbert Roberts., A Brief History of Ancient Greece: Politics, Society, and Culture., University Press Oxford., Oxford 2004.
- Speth, N., Female Homoeroticism in the Roman Empire: How Many Licks Does It Take to Get to the Disruption of a Phallocentric Model of Sexuality? Hofstra University, Hempstead, New York 2015.
- Thornton, L, R., Alexander the Great and Hellenization., Calvary Baptist Theological Journal I Spring 1988.
- Veyne, P., Homosexuality in ancient Rome, in Western Sexuality., Oxford; Basil Blackwell Ltd 1985.
- Younes, Michael, «Engaging Romans: an exegetical analysis of Romans 1:26-27», Masters Essays 78., 2017.